

جابر خليفة جابر يكشف سرّ الهولندي الطائر

استدراج القارئ إلى فضاء معتدل



حسين سرمك حسن

دمشق

ومخطيء من يعتقد أن الاخ "ناسكو دي غاما" قد ترك امله ووطنه في البرتغال، واندهق ليواجه المخاطر المحيطة في ظلمات البحار والمحيطات الهائجة من أجل الغفلل والشطمة الهندية !! لقد كان جزءاً من طلائع النمو الاستعماري والحرب الدينية التي ستستخذ غطاء التبشير ثم مسؤوليّة الرجل الأبيض تجاه الشعوب المتخلفة لتبرير استعبادها لتلك الشعوب وقهرها ونهب ثرواتها. ولا يمكن، ابدأ، تناسي السبب الديني كامتداد للحرب الصليبية، ولاغناء طرق الحزير الذي كان يسيطر عليه المسلمون في الشرق الأوسط وآسيا، وفاسكو دي غاما نفسه هو صاحب القولة الشهيرة بعد أن وصل شرق أفريقيا وتحديداً موزمبيق : "الآن طوفنا المسلمين، ولم يبق إلا أن نشد الخطأ".

المهم، ان القاريء الكريم قد يرى في هذا العرض الموجز أسفاضة تاريخية لا صلة لها بالنص، خصوصاً وان دعاء الحدادة وما بعد الحدادة يرغفون منادين بضرورة الالتزام بالنص، من دون الإحالة إلى أي مرجعيات خارجة، ولكن هذا الموقف – كما سنرى – سوف يضيف امتيازاً إلى فريدة التألول السريدي لدى القاص. على الساحل الهولندي من بحر الشمال، وقف الراوي – والقصة عمادة جابر سُرد ضمير المتكلم – تتداعى به ذكرياته إلى الجنوب العراقي الحزين، فيبتكر الخليج العربي .. ويعود إلى عام 1974، أيام لع اسم المنتخب الهولندي وكرة القدم الشاملة، وهذا المقترَّب الرياضي هو مقترَّب محاييد و بريء، يسهم في استدراج القاريء إلى ساحة نشاط معتادل لا انحيازات فيه كما يبدو . بقول الراوي : (أيامها كان أصدقائي الشباب معجبين باللاعب الهولندي كرويف بلقبه الشهر، الهولندي الطائر، لكنني كنت مختلفاً عنهم، شجعت الفريق الألماني مع أنني لا أحبّه، وكنت أذكر باكتياور الألماني كلما أشاءوا بكرويف) .

ومن هنا يبدأ جابرب رسم خطوط حكيمة قصته، من خلال دفع القاريء إلى التسؤال عن السبب الذي يجعل الراوي يعلن كرهه لللاعب كرة قدم هولندي، ولماذا يسخر منه ومن طريقة لعبه، ولماذا وصل به الأمر حدّ أن لا يعلن كرهه للرقه الذي يصعب كرويف فقط بل التسمّيُازاه حتى من اللون البريتقالي المعروف الذي يرتديه الفريق الهولنديّ

وتتصاعد لدى القاريء، درجة هذه الدهشة، التي تاتي – وهي من السمات الاسلوبية في الفن السريدي لجابرب خليفة – هادئة، مصوغة ومفردات بسيطة وبعيدة عن الصياغات والصور العنيفة، عندما يتكشّف انّ ما يفصّح عنه الراوي من مشاعر كارهة لللاعب الهولندي كرويف، يخالف العواطف الفعليّة التي يصورها في داخله، فهو يتخرنّ إعجاباً بمهارات هذا اللاعب الكروية الغدّة، وطريقته الراقية في اللعب وتسجيل الاهداف، وكان حزينا لخسارة الفريق الهولندي أمام الفريق الألماني في الدور النهائي لطبولة كأس العالم ائذاك. إنن ومن جديد، ما الذي جعله يتناقض مشاعره الداخليّة المتعاطفة مع اللاعب الهولندي، ويعلن موقفاً كارها ليه.

أينطفئ الذهب؟ تشكيل صياغي وتحول بلاغي

الحياة لا تعباً بموتها في بلد السواد

خليل ابراهيم المشايخي

بغداد

لقد أدرك الأديب الفذّ الشمري أنّ اللغة أداة توصيل للأفكار وأنّ الأفكار هي مغزى الكلمة، وهي معناها، والمعنى هو الفكر الذهنية التي يمتلكها طرفا الخطاب.. فسعى إلى بناء هذه التصور المشتورية في سياقات مختلفة باختلاف المعاني التي يسعى لتوصيلها في مجموعة هذه الفن، هنا ما جعل المعنى في تصوميه أمراً متحرّكاً في أفكاره الذهنية، وليس ثابتاً.. يقول الشمري:

تدور.. تدور حمامك الضوء، تدور..

تدرب في غمرة الظهور، وتترلق اجنحتها على أديم الثبر والرخام..

تدور ثانية، تحدث، تبحث عن أمانيتها لعناق جديد

لعلها ترشق قبة تبرىق بين الغيوم، أو منارة تتشرق من بعيد..
نلاحظ أنّ الشاعر الشمري، لكي يجعل توالده الحدت مستمراً، وجدّهته لا تنطفئ، انطلق من حدث مستقبلي..
كرر الحدت نفسه مع فاعله بعد أن سكت عن صاحب الحدت ولم يصرح به في البداية وكأنه والباشاعر ذكر صاحب الحدت في الحدت في هذه المرة، إشارة منه إلى روح الدعة والسلام (تدور.. تدور حمامك الضوء، تدور..) فسرتفه في الأولى ثم أظهره في الثانية ثم ستره في الثالثة، ليعطي فرصة للتأمل ومجالاً للتصور أو التخيل،

وقد أضفى على الفاعل الذي لم يظهره في الكرة الأولى، وأظهره ثانية، واستتر في الثالثة، ولكي يضفي عليه بيمومة البناء والخلود والسطوع بقسوة وبأصالة إضافته إلى كلمة(الضوء)، ليعطه أصيلاً غير ناجم عن انعكاس شي.. وبعد بذلك، إلى عدم التصريح بالحدت ويقالعه الذي ولّد الحدت المصرح به أولاً الذي قام به أعداء الله والحياة والضياء، ليفقدوا حرية الحمايم وعيديلها وطبائيتها، ولهبهب ضرورتها لجعلها غير قادرة على الطيران، والسعي في الحياة بحرية وأمان..

لا يكرّر القاص جابرب خليفة جابرب الطريقة السريدية التي يتناول بها موضوعاته في نصوصه. ففي كل نص، هناك طريقة

متفردة، يستند إليها في تناول موضوعته وطرحها سرديا أمام القاريء. وفي الغالب تتحدد السمات الرئيسة لهذه الطريقة من خلال الموضوعة نفسها، ففي قصة الهولندي الطائر (1)

مقابل أن يبيع نفسه له، ويكفر بالذات الإهسية. فوافق .. فكتب عليه، منذ ذلك الوقت، أن يبقى في سفينته هائما في قرصان هولندي سمع كحايته من البحار أبو راشد.. وعند هذه النقطة، قد يستدعي القاريء المحلل مبخزون ثقافي جيد حكاية الهولندي الطائر الخرافية بعد أن اثارها لديه عنوان القصة. وينبغي علينا ان نتفحص الأطروحة البنوية الشائعة التي ترى ان العنوان فريا النصّ. فقد اندفع الكثير من النقاد إلى تأييد هذه الأطروحة، وعذوها مستحاشاً مركزية في العمل التحليلي للتصوص السريدية خصوصاً، وعلى طريقة ان المكتوب يفهم من عنوانه. في حين أن العنوان لا يضطلع بدوره التأويلي إلا بعد اكتمال الصورة الكلية – gestaltللتص، حيث يوضع بعدها في الموقع المناسب ضمنن هذا المسار. فالحولندي الطائر هو لقب اطلق على القبطان الهولندي هنريك فان در ديكن الذي اجبر من امستردام للبحث عن الثروة في الهند الشرقية. وسار كل شيء على ما يرام، إلى ان وصلت سفينته إلى رأس الرجاء الصالح، حيث واجهته عاصفة ماحقة، اصبر على مقاومتها، برغم انها اوشتت على ان تحطم سفينته، وغرقه إلى الأبد.. وهنا ظهر له الشيطان، الذي عرض عليه ان ينقذه من الموت المحتمّ،

التي سنأخذها هنا مثالا. يعود جابرب إلى محنة العلاقة الاستعمارية بين الشرق والغرب، محددة في هذا النص بين أسرة القواسم ممثلة للوجود العربي الاصيل في الخليج العربي، والقراصنة الهولنديين ممثلين لطلائع الاستعمار الهولندي الغازية.

راشد، لكنها رائعة، أكثر من رائعة، بملوانية، كانه لاعب سيرك حين قفّر. رمي بنفسه، تلوى لمتفادى السقوط على سطح السفينة. وحين هوى في مياه الخليج، كان جسده يرتطم بحافة السفينة ويتحطم، لكنه نجسا، وأسره القواسم مع بحارته وسفينته، جميعهم شاهدوا قفّزته المذعورة تلك حين انطلقت البنابق من الساحل فجاء لتصدهم عن النزول إلى البرّ يأسلحتهم ومدافعهم، فاجاتته اندفاعة الرجال وخروجهم المفاجيء عن التلال الرملية عند الساحل، فاجاتهم نيران النادق، فارتجكو واندعر قبطانهم، وهو اعلى الصاربة والباباءء الإسنانية، في حركة كونية ظل يجول فيها في ظلمات محيط العنصرية تحت غطاء مسؤولية الرجل الأبيض تجاه الشعوب المتخلفة. بعيدا عن شاطيء الاخوة والعدل المساواة حتى يومنا هذا.

لقد انتشر هذا اللقب الهولندي الطائر، بين (عرب الخليج وصيادي الاسماك والخواصن، وبتزر به العبيد، وشاع بين البحارة الهولنديين الاسرى، واقترب بين ذائرتهم باسره، وقفزة قبطانهم الخائف. إن الراوي يدرك المصدر الحقيقي والعلمي لهذا اللقب، في حين ان مراقفه الهولندي وجسور باع نفسه للشيطان لتحقيق رغبة ميمية اصبر عليها، كان جزاءه فيها ان يبقى مبحرا إلى الأبد في ظلمات الجحيم والمحيطات، إنها تسمية جاءت مطابقة

– قل لي لماذا يا هولندي يا طائر؟

إنن، فما سنستخلص من أسطورة جابرب وحكايته، ان لقب الهولندي الطائر هو تسمية اطلقتها شيخ القواسم الحاكمين عن ارضهم على قرصان السفينة الهولندية الذي حاول غزبّ ديارهم. إننا لهيمنت التسمية الخرافية المخفلة لقرصان مغامر وجسور باع نفسه للشيطان لتحقيق رغبة ميمية اصبر عليها، كان جزاءه فيها ان يبقى مبحرا إلى الأبد في ظلمات الجحيم والمحيطات، إنها تسمية جاءت مطابقة



جابر خليفة جاب

النخلة تنام واقفة

فاطمة الحسائي

استوكهولم

حين كتبتك واخترتك لك اسم/ رواء/ كائنتي كنت اكتبتي(×) ستعجبين كيف استطعت ان افتح ابوابك واقتحكك وافضح سرّك الذي كتمته حتى عن اعزّ الناس اليك، اتّبع خطواتك الي مكتبتك تتحسّين في معجم عن كلمة طابا ابعثك وبعثت عليك اعيادك، كل عيد يُصيّف سنة جديدة الي عنوستك، تشهقن بصمت وانت تتظّرين في وجه عمّتك الذي مسخ الزمن كلّ رواته خاصمت مرآتك لئلا تترك ما لا ترغبين في رؤيته، كماأنك لم تُخلّديها علي ورق خشية ان يسطو عليها احدٌ. غزراً ان سلطوت انا على ما في داخلك عزّيتي... فقتتي بك هي ما دفعتني الى ما كتبت. إنك سنسامحين حين تجدينتي قد اکتويت بما اجرقت واذاك فلفعت الجهل والجاهلین، لعنهم نيامة عنك، فانا ادري ان ما تحلمين لهم من حبٍ بعمعن ان تفعلني هذا، صبر الجمل صبرك يا رواء، لم تنكسري، وما مات طموحك، تنامين وتحلمين بعالم جميل، كأنخلة تنام واقفة، تحلم بزوها، لا تهز جذعها الاهوية العابرة.

حين جنحت الي هذا العالم المستغرّ اكتشفت ما لم تكوني تحلمين به، هو فوق الحلم وفي اعالي الأمانا، ترى ادوي عشقك للنخل وشجرات البمبير؛ لا اقل هذا، لم يزل طعم ما قلفطت يدور بين لسناك والقلب، مدينتك تسكنك في الربيع كما في الشتاء، كم حذتت لجساعك عنها وهي بعيدة بعيدة، قلت لهم: البصرة كريمةً مثلنا، كم انجبت من عظيم، وكم قدمت من شهيد ..!

في احلك الایام یجد المرء نفسه مدفوعاً لإنّ یختار مرفا یرسی فیه أمنیاته، فوجدت نفسك تریبً بشکل جدید وقتلما: الحطّاء في ان اعید ولانتي ثانية؟ ازبحمتك عليك دروس الحباة فشكرتها، وعزّمت على ان تتجنّج متفوّقة بما وهبتك، لم تضجري وما حذت عليها، فقد ارضعتك الاماً لا تزال تخسر فيك. فاقنبتت عليها وقتن:من الالم یولد حی، ومنه یغدو انساناً. سالتني يوماً وكنا تحسني القهوة ونقرأ ما ارتسم في قاع الفجاءن:اكانت أمي تتوجه على عنوسة عمّتي فاوصلني وحامها الي ما انا عليه اليوم؛ لم يا أمي؟ اصامك كل خيرات الدنيا.... فلم ترتكسها وراءك وانفتحت شهیبتك علي عنوستها؛ واعدت الكرة مع אחتي.... ما ذنبتاً يا أمي، ترتكتنا نرنو الي الصغار یقفزون في شوارع المدينة، تذوّب في نفوسنا حسرة ففداری عصّة توشك ان تفضضها الدوع، نتنسم للاطفال وهم یلعبون، نفتح جیبونا ونهدیهم الحلوی. لذا تریننا قد ترتنا أرضنا وماجرنا بلا ثمر.. وظلت النخلة ثابتة الجذور، تعشق أرضها وتنتظر الثمر. لو كنا نمشي یعقولنا لما ازفلقنا افعالنا، تنبع يوماً مشاعرنا واقدارنا، لذا نتهاوی ونفقّذ قرارنا. وبعد طول زمن نستفیق، حين ذاك نقول لیخنا كنا في صحوه علم وطقلة لب .

انت اليوم تعیشین بسلام، ایامك ریحّة بهیجة، رباً كاسمك الذي اخترته لك، لا شيء یظل ینهشنا يوماً، امورٌ كثيرةٌ تتغیّر... حکاكةٌ تشبثوا بكراسیهم عشتار السنین فتهاوت بهم، مدن عاصرة جرفتها عواصف وسیول فانقلبت اعالیها اسافلها، فكفك لا یتغیّر ما بنا؟!!! اوجاعنا ننساها بین صخب الحباة وافراح الحمیص، سنستسین عمرك الذي خجلت منه يوماً، إنك النخطّة في عمر جدید، وحياة جدیدة. اراك من بعد بعيد كائنی اری بعیني صفر. انت الآن امام رؤای في اعراسك تتحدثین من ظلمولك، انعمي بما انت فيه، ولا تتلفّتی ألی الوراء.... الامام یوصلنا دائماً ألی الهدف

(×) توطئة مُختّصة لروایتي الجديدة التي ستصدر قريباً بعنوان/ النخلة تنام واقفة./

وأنت تقرأ مجموعة الأديب فائق الشمري (أينطفئ الذهب)، الصادرة عن مؤسسة المرتضى للثقافة والارشاد، وهي قصائد منشورة تتمحور حول

فاجعة سامراء الالية وهدم قبة ومنازتي الامامين العسكريين عليهما السلام، تحسّ برشاقة الكلمة وختفتها، وهي تنتظم انتظاماً موسيقياً بديعاً في

هذه القطع الثرية البليغة..

إطارها المؤلف، وتجميع العناصر المختلفة في

غير إنتظار، ولكي يجعلنا بذلك، تجديد تلقينا

للأشياء عند إمد (الظاهرة الانزياحية) لتشكيل

صورة الشعرية غير النمطية –في نصوصه

كها– مستمترين من خلالها احساس المثقي، –

وحسب تعبير تشومسكي:– (الاضلال في

التعبير الغوية البلاغية المومسة شعبياً)، إنما

تكشف لنا مغفرة المبدع اللغوية والشعرية

وقدرته الفائقة على الخوض في الانتهاكات

الغوية..

وبكل براعة وبداعة وثكاء، ويندق بنقي نصوصه

الثرية الشعرية المبرجة عن الارادة الإلهية أنّ

(خير العمل) يمكن ان ينجح.. يقول:

تندم ضميرا بحمد الله ..

توجهت النساء بلون غريب..

ويبات في الافق قبة أخرى

كانت تنمّ فوق الركام..

يشرق دنها بحب الملايين..

وفي نص آخر نرى مفردات الشمري الشعرية

تدويع نوراً بشوق عدالة الله.. فبدأ نصح هذا

ملتصقاً آياه وهو على (صـــــورة

استاتيكية)سكونية) معيراً عنه بالإسم(عد

الاد).. وقد استعمل نصح هذا باسم(زمنه غير

محدد بمعرفيته (بشابهه) يقول:

تترامك مقلّقة

وجعل الشاعر المثقي يفك متناًسلاً ولا من اصالة السم

من تراكم مقلّقة؛ باحثاً عن الجواب، هل سيوجه

في السطر الذي يلي الحدت او الذي بعده.. لكنه

لا يطع في ذلك.. فقد عمد المبدع الشمري لهذا

اللون من التعبير، لأنّ يتجلّى في سيادة العنصر

الدرامي الذي تهيم عليه مساحة الاسي تترك

أحياناً عند الشاعر برؤى ورموز دينية(الامام

الحسين الشهيدي)، العباس، علي الأكبر)..

ومواقفهم وموقف (العقيلة زينة).

ومن خلال تلقائية المبدع الشعري المحببة،